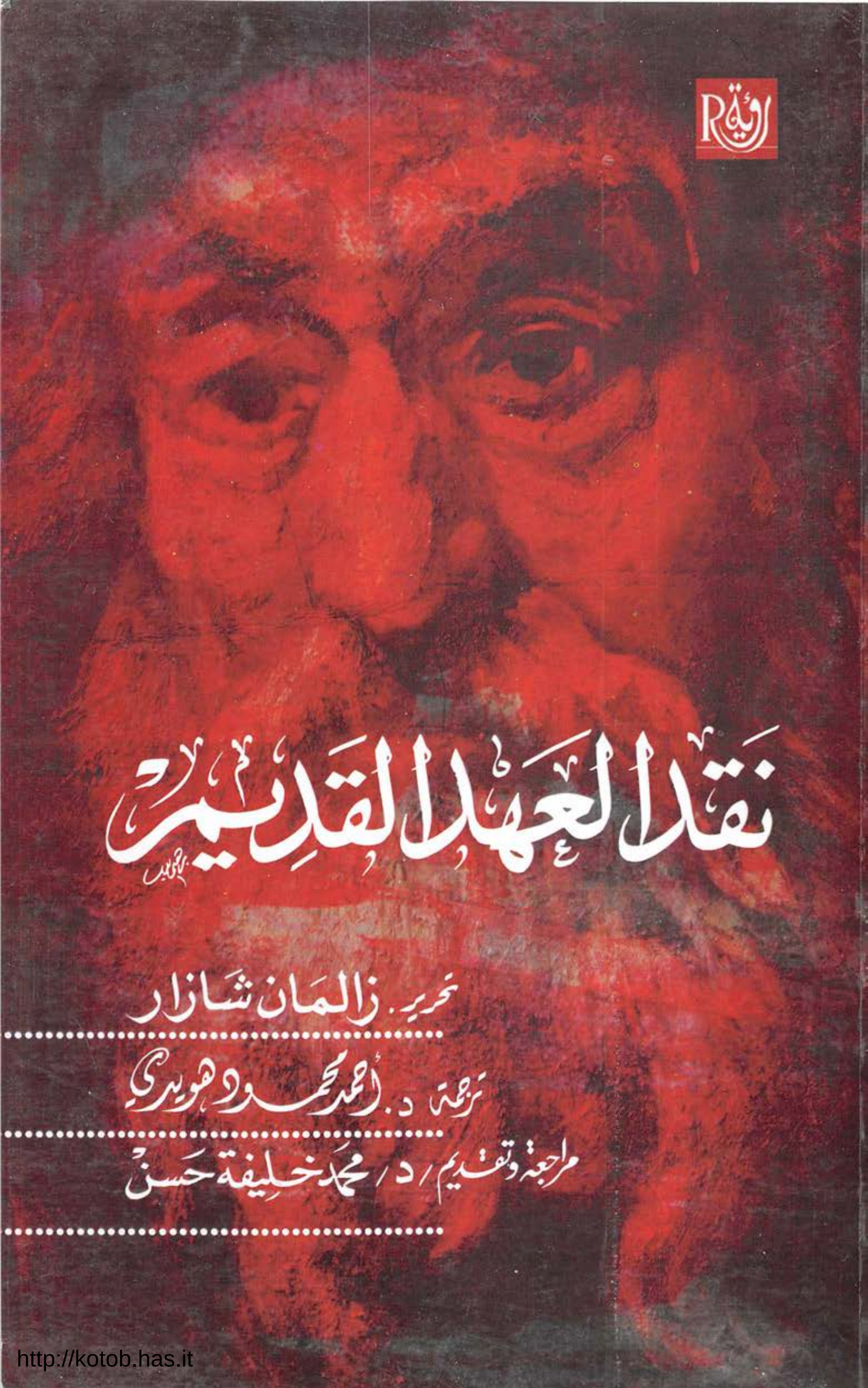


نقد العهد القديم

تحرير . زالمان شازار

ترجمة د. أحمد محمود هويدي

مراجعة وتقديم / د / محمد خليفة حسن

نقد العهد القديم

نقد العهد القديم

تحرير

زالمان شازار

ترجمه من العبرية

أ. د. أحمد محمود هويدي

مراجعة وتقديم

أ.د. محمد خليفة حسن

للنشر والتوزيع

2014

الكتاب : نقد العهد القديم
تحرير : زالمان شازار
ترجمة : أحمد محمود هويدي
المدير المسؤول : رضا عوض
رؤية للنشر والتوزيع
القاهرة : 0122/3529628
8 ش البطل أحمد عبد العزيز - عابدين
تقاطع ش شريف مع رشدي
Email: Roueya@hotmail.com
فاكس : 25754123 (202) +
هاتف : 23953150 (202) +
الإخراج الداخلي : حسين جبيل
جمع وتنفيذ : القسم الفني بالدار
الطبعة الأولى : 2014
رقم الإيداع : 2014/2874
الترقيم الدولي : 978-977-499-133-2

إهداء

إلى أخي محمود الأكرم

تقديرًا واعترافًا بفضل لا ينقضي أمده

تقديم

يتناول الكتاب الذي نقدمه للقارئ الكريم تاريخ نقد العهد القديم من بدايته وحتى العصر الحديث. والعهد القديم هو كتاب اليهود المقدس الذي يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات (الحكمة). ونشير هنا إلى أسباب نشأة نقد العهد القديم وتطوره (أو وأسباب تطوره).

أولاً: النقد اليهودي

تطور نقد يهودي للعهد القديم، وهو نقد نستمده من نص العهد القديم نفسه، فضلاً عن النقد الذى أتى من مصادر يهودية خارجة عن العهد القديم، والأسباب التي أدت إلى وجود النقد اليهودي هى:

1 - الاختلاف اليهودي حول نص التوراة

وقد نشأ في وقت مبكر، حيث تعرضت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام للضياع كنص ديني ثابت. وتطور لدى بني إسرائيل «اليهود» روايات شفوية حلت محل النص الإلهي المكتوب «المدون». وظلت التوراة على هذا الوضع الشفوي من بعد عصر موسى وحتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد؛ حيث تم تثبيت نص التوراة ويتم تدوينه بعد أن كان نصًا شفويًا. وهذه المرحلة تغطي ما يقرب من ثمانية قرون كاملة اتخذت التوراة هذا الشكل الروائي الشفوي. وكانت بطبيعة الحال أشبه بالكتاب المفتوح الذي يضاف إليه وينتقص منه على حسب الاتجاهات والمذاهب الدينية اليهودية التي ظهرت في الحياة اليهودية خلال القرون الثمانية. والتي نتج عنها تعدد الروايات، ثم قيام عزرا بعملية تحرير لما هو متوافر

أمانه من روايات توراتية شفوية، والقيام بعملية توفيق بين المواضع المتناقضة والمواضع المختلفة، والانتهاء من وضع نسخة واحدة للتوراة هى التي تم تثبيتها والاعتراف بها منذ عصر عزرا. ويلاحظ أن هذا العمل الكبير ينطبق فقط على التوراة وليس على بقية الأسفار. ونظرًا لأهمية هذا العمل اكتسب عزرا مكانة عظيمة في التاريخ الديني اليهودي. وعادة ما يربط بموسى ﷺ في الأهمية؛ لأنه على حسب الفهم اليهودي إذا كان موسي ﷺ هو الذي تلقى الوحي فإن عزرا هو الذي حفظه وثبته. ولا يستبعد في أن يكون هذا سبب تقدير عزرا. وهناك إشارات قرآنية لهذا التقديس.

2 – الفرق اليهودية واختلافها حول نص العهد القديم

من أهم الفرق اليهودية وأقدمها فرقة السامريين التي تعود نشأتها حسب الفهم اليهودي إلى الانشقاق الذي حدث بعد موت سليمان ﷺ وانشقاق مملكته إلى شمالية وجنوبية. وأصبحت السامرة العاصمة السياسية والدينية للمملكة الشمالية، ونافست السامرة أورشليم كمركز ديني وسياسي. ونتيجة لهذا الانقسام رفض السامريون التراث الديني المرتبط بأورشليم، ورفضوها كقبلة دينية حتى سقوط السامرة 721 ق.م. ومع هذا التطور ظل اللاهوت السامري منافسًا للاهوت أورشليم، واستمرت فرقة السامرة في الوجود منذ ذلك الوقت وحتى الآن. وهم لا يعترفون باليهود الربانيين، كما أن اليهود الربانيين لا يعترفون بهم ويرفضون الزواج منهم ولا يعتبرونهم يهودًا، ويضموهم للأمم الأخرى.

وموقف السامريين من العهد القديم هو أنهم لا يعترفون إلا بالأسفار الستة الأولى فقط من العهد القديم، ولهم تفسيرهم الخاص للتوراة، كما أنهم يفسرون بعض مواضع من التوراة حسب رؤيتهم الدينية. ويفسرون الفقرات التي تشير إلى أورشليم على أنها تشير إلى مكانهم المقدس أو قبلتهم الدينية الجديدة، وهى السامرة. وتفسير الفقرات الخاصة بجبل صهيون على أنها تشير إلى جبلهم المقدس، وهو جبل جريزيم. وبالإضافة إلى رفضهم بقية أسفار العهد القديم يرفضون كل التراث الشفوي الذي يعترف به ويقدسه اليهود الربانيون وهم أيضًا يرفضون التلمود وكل الشروح التى بنيت عليه ويرفضون ما يسمى بالشريعة الشفوية. وهم يقولون فيما يتعلق بالعهد القديم «التوراة الربانية» أنها توراة محرفة قام بتحريفها عزرا الكاتب. وقد كونوا داخل اليهودية فرقة دينية مستقلة لها رؤية دينية يهودية مستقلة.

أما فرقة القرائين فهى فرقة لا تعترف إلا بأسفار العهد القديم، وتسميتهم مأخوذة من كلمة «المقرا»، وتعبر التسمية عن الموقف الديني الرافض للتراث الديني خارج المقرا. وهم يرفضون التراث الشفوي والشريعة الشفوية غير المكتوبة، ويرفضون التلمود. وقد دخلوا مع الربانيين في جدل ديني كبير خلال العصر الوسيط – وهم واقعون تحت تأثير إسلامى – خاصة فيما يتعلق بنقد العهد القديم ومفهوم الألوهية.

3 – اختلاف البيئات اليهودية

من المعروف أن التاريخ اليهودي تميزه ظاهرة الشتات الذي نتج عنه حياة اليهود في ظل بيئات وثقافات وحضارات مختلفة وقعوا تحت تأثيرها: منها بيئات وثنية قديمة، ومنها أيضًا بيئات حديثة معاصرة تنتشر فيها العلمانية والإلحاد كما هو الحال في أوربا المعاصرة وأمريكا. وفي ظل هذه البيئات المختلفة بيئيًا ومذهبيًا تكيف اليهود مع الأوضاع الثقافية والفكرية لهذه البيئات، واستجابوا إيجابًا وسلبًا للمعطيات الفكرية لهذه البيئات كما انشغلوا أيضًا بعمليات الجدل الديني وبخاصة في البيئات التي تعرضت لنقد اليهودية، ونقد كتابها المقدس. وقد اشتد الجدل على وجه التحديد في البلاد المسيحية والإسلامية التي لها أصلاً موقف من الكتب المقدسة اليهودية، الأمر الذي أدي إلى تطور نقد للكتب المقدسة اليهودية في هذه البيئات.

ثانيًا: النقد المسيحي

تطور نقد مسيحي لكتاب العهد القديم على الرغم من قبوله ككتاب مقدس وضمه إلى أسفار العهد الجديد في كتاب واحد تحت اسم «الكتاب المقدس». ويظهر هذا النقد المسيحي في ذروته في التسمية التي اختارتها المسيحية للأسفار المقدسة اليهودية حيث أطلق عليها اسم «العهد القديم» في الوقت الذي سمت فيه الأسفار المقدسة المسيحية باسم «العهد الجديد». والدلالة النقدية هنا واضحة في الصفتين «القديم» و «الجديد». وتشير هذه الدلالة إلى

أن العهد المعطى لبنى إسرائيل أصبح عهدًا قديمًا أى باطلاً أو ملغيًا، وأن هناك أمة جديدة هى الأمة المسيحية دخلت في عهد جديد وحلت مكان الجماعة القديمة وهى جماعة بني إسرائيل صاحبة العهد القديم الملغي.

كما تعرض العهد القديم للنقد المسيحي من خلال إعادة تفسيره في ضوء معطيات الدين المسيحي وعقائده المختلفة عن معطيات اليهودية وعقائدها. ولعل أهم مفهوم تلقى تفسيرًا مسيحيًا جديدًا هو مفهوم الخلاص والمسيح المخلص، حيث فسرت الديانة المسيحية كل ما ورد عن الخلاص والمسيح المخلص في العهد القديم تفسيرًا جديدًا، واعتبرت كل الإشارات الخلاصية والمواضع التي ورد فيها ذكر المسيح المخلص مشيرة إلى الخلاص الذي أتى به عيسى عليه السلام كمسيح مخلص.

ثالثًا: النقد الإسلامي

بالنسبة للنقد الإسلامي للعهد القديم، فقد أتى القرآن الكريم بنظريتين أساسيتين هما عماد النقد الإسلامي وأصبحا فيما بعد عماد النقد الغربي الحديث والذي تمثله مدرسة يوليوس فلهاوزن أفضل تمثيل. وهاتان النظريتان هما نظرية التحريف والتبديل، ونظرية تعدد المصادر والتي أصبحت أساس النقد المصدري للتوراة وبقية أسفار العهد القديم في القرنين التاسع عشر والعشرين. وهنا يجب أن نتعامل مع مصطلحي «التحريف والتبديل» على أنهم مصطلحان نقديان ينتميان إلى مجال النقد الأدبي. وتشير المعاني الأساسية لهما في

القرآن الكريم إلى الدلالة النقدية الأدبية قبل أن يتحولا في القرآن الكريم وفي المصادر الإسلامية الناقدة للتوراة إلى مصطلحين مفعمين بالدلالة الدينية وهي إحداث التغيير في الدين. فالعبارة القرآنية ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (المادة: 13) تشير إلى حدوث عملية لغوية أدبية أسلوبية تم من خلالها تغيير الدلالة الدينية. ومعنى الآية (يبدلون الكلم من معناه) والكلم هو التوراة وذلك بتحريفهم التوراة وكتابة ما يرغبون فيه ومحو ما لا يرغبون أو تحريفهم معانيها بما يتفق وأهوائهم. وكذلك فى الآية ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (الفتح : 15) أي يغيروه. فالمقصود بالتحريف والتبديل تغيير الكلام ليعطي معنى غير المعنى الأصلي الذي أتى به الوحي. وفي النقد الأدبي الحديث تم تفريغ هذه المصطلحات من دلالاتها الدينية وأصبحت مصطلحات نقدية أدبية عامة تطبق على أية نصوص أدبية كانت أو دينية.

أما نظرية المصادر فقد عبرت عنها الآية القرآنية الكريمة ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء: 82). والمعنى المباشر هو أن الاختلاف ينتج عن تعدد المصادر الإنسانية. أما المصدر الواحد – وهو الوحي الإلهي – فوحدته تمنع الاختلاف والتناقض.

رابعًا: تطور نقد العهد القديم في العصر الحديث

تأثر اليهود بأشكال النقد المسيحي والإسلامي في العصر الوسيط، فرفضوا أكثره وقبلوا بعضه، وظهرت فرق يهودية متأثرة

بالنقد المسيحي والإسلامي، وظهرت فرق متأثرة أيضًا بالفلسفة وبالتفسير العقلي للكتب المقدسة والتزمت بتأويل الفقرات التي ليست قابلة للتفسير الحرفي والتي يبدو منها أنها متناقضة مع العقل. أما اليهود الذين عاشوا في أوربا وأمريكا فقد وقعوا تحت تأثير الثقافة الغربية ومعظمها ثقافة علمانية تفصل بين الدين و (الدنيا) الدولة، وبعضها لا يعترف بالدين أصلاً انطلاقًا من عدم الاعتراف بالألوهية أو بوجود إله. وقد انخرط اليهود في هذه التيارات فنجد أن بعضهم تشدد ضدها متمسكًا بصحة العهد القديم والديانة اليهودية، وبعضهم ترك اليهودية وأصبح علمانيًا أو ملحدًا. كما خضع اليهود أيضًا التيار العقلاني وفسروا اليهودية والكتاب المقدس تفسيرًا عقليًا.

ونشأ عن هذه الاتجاه مدرسة نقد الكتاب المقدس وخاصة نقد العهد القديم. وهناك عدة أسباب لتطور علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث. منها:

1 – الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأدنى القديم

أدت الاكتشافات الأثرية في العصر الحديث إلى التعرف على معظم الكتابات العربية القديمة والتعمق في معرفة النصوص الهيروغليفية المصرية، والكتابات المسمارية والحوليات الآشورية والبابلية، وكذلك التعرف على بعض اللهجات العربية (السامية) التي كانت مجهولة ومن أهمها اللغة الأوجريتية نسبة إلى أوجريت «رأس شعرا حليًا» في المنطقة السورية وتأثير هذه اللغة علي العبرية

الأرامية، والتعرف أيضًا على النقوش العربية الشمالية والجنوبية، ومن هذه الاكتشافات أيضًا وثائق البحر الميت والتي كان لها أثر كبير في معرفة طبيعة الفترة المحصورة بين العهدين، أي بين نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد، والتعرف على الفرق اليهودية والحصول على نسخ متعددة من أسفار العهد القديم لم تكن موجودة من قبل.

ومن أهم نتائج الاكتشافات الأثرية، اكتشافات مجموعات قانونية جديدة فى مصر القديمة وبلاد النهرين كشفت لنا عن مؤثرات مصرية آشورية بابلية على الأحكام والتشريعات التوراتية بعد أن ساد الاعتقاد بأن الإسرائيليين القدامى فقط هم الذين أنشأوا التشريعات وطبقوها على حياتهم. وقد أثبتت هذه الأمور جميعًا فشل النظرية التي تقول بالاستقلال الديني والفكري لجماعة بني إسرائيل عن الشعوب المحيطة استنادًا إلى الاختلاف في العقائد الدينية بين التوحيد في بني إسرائيل والتعدد عند غيرهم حيث ثبت اتصال جماعة بني إسرائيل بالشعوب الأخرى في الشرق الأدنى القديم ووقوعهم تحت التأثير الحضاري للشعوب السورية والمصرية والعراقية القديمة وأيضًا الفرس، وأثبتت أيضًا دور الشتات في وقوع التأثير الأجنبي على بني إسرائيل.

2 – اكتشاف عجز نظرية فلهاوزن في الكشف عن طبيعة العهد القديم

نجحت مدرسة فلهاوزن نجاحًا كبيرًا في تحديد مصادر التوراة، وقد ركزت على ذلك تركيزًا شديدًا، ولم تتجاوز حدود

النقد المصدري إلى تطوير اتجاهات نقدية أخرى تساعد على فهم العهد القديم وبالتالي فهم حياة بني إسرائيل قديمًا من خلال العهد القديم الذي يعد المصدر الوحيد لتاريخ بني إسرائيل وديانتهم. ومن النقد الذي وجه إلى نظرية فلهاوزن أيضًا الاستغراق الشديد في تحليل النص ومفرداته وتحديد علاقة الوحدات الأدبية الكبيرة والصغيرة ببعضها البعض، والاهتمام بالنقد اللغوي، وهي كلها مقدمات نقدية هامة من حيث إنها أثبتت إنسانية النص أو على الأقل اختلاط المادة الإنسانية بالمادة الإلهية فيها وعلى الرغم من هذه النتيجة الكبيرة ظل العهد القديم كتابًا مغلقًا صعب الفهم على المستوى الديني والأدبي والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي. ويؤخذ على نظرية فلهاوزن أيضًا التركيز الشديد على المصدرين الكهنوتي والتثنوي وهما مصدران مهتمان بالجانب الخاص بالعبادة والخدمة الدينية والتشريعات وفيها إهمال لبعض الجوانب التاريخية والعقائد والجوانب الاجتماعية. وقد تم إهمال شرح نصوص العهد القديم على المستويات المذكورة وعدم الاهتمام بتحليل الأحداث التاريخية وعمد التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى نشأة النصوص وتطورها في شكل روايات شفوية قبل أن يتم تدوينها؟ ولم تهتم أيضًا بتحليل ومعالجة الصور والأشكال الأدبية المختلفة الواردة في العهد القديم مثل القصص والروايات والحكم والأمثال، كما أنها لم تهتم بدراسة المضامين الدينية والفلسفية والأخلاقية في العهد القديم.

3 – التطور المنهجي في العلوم الإنسانية والاجتماعية

شهد القرن الشعرون تطور المناهج في العلوم الإنسانية كما ازدهت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية، وكذلك تطور علم الدين في الغرب ونشأت مجموعة من العلوم الدينية ذات القيمة الكبيرة في فهم مادة العهد القديم ومن أهمها: علم تاريخ الأديان، علم الظاهرة الدينية، علم مقارنة الأديان، علم الاجتماع الديني، علم النفس الديني، علم الأنثروبولوجيا الدينية، وعلم جغرافية الأديان، وكلها علوم حديثة استفادت من المنهج في تخصصها وساعدت على تعميق المعرفة الدينية عند الإنسان والكشف عن طبيعة الخبرة الدينية، وقد تم تطبيق مناهج هذه العلوم على بعض الشعوب البدائية، ثم انتقل تطبيق هذه المناهج إلى مجال العهد القديم مما أدى إلى الدخول في مرحلة جديدة من النقد أدت إلى فهم أكثر عمقًا لديانة بني إسرائيل ولطبيعة الإسرائيليين القدامى وعلاقاتهم الدينية والفكرية بالشعوب المحيطة بهم.

4 – أثر الدراسات النقدية الأدبية في نقد العهد القديم

استفاد نقد العهد القديم من التقدم الذي شهدته الدراسات النقدية الأدبية وبخاصة في مجال تطبيقها على النصوص الأدبية الكلاسيكية مثل النصوص اليونانية واللاتينية وتطبيقها على الأعمال الأدبية الكلاسيكية الأوربية. وتطور عدد من المدارس والاتجاهات النقدية مثل المدارس الواقعية والرومانسية والتعبيرية وغيرها، وانتهت هذه التطورات إلى نشأة عدة اتجاهات في نقد

العهد القديم منها بالإضافة إلى النقد المصدري والنصي التابعين لفلهاوزن تطور النقد الأدبي والتاريخي ونقد الصور الأدبية. وتطور الاتجاهات الأدبية والفنية والأنثروبولوجية، وتطور الاتجاه النقدي المقارن والاتجاه الفلسفي والنقد الأخلاقي.

ويقدم هذا الكتاب عرضًا موجزًا لتاريخ هذه العملية النقدية الطويلة للعهد القديم فيبدأ بعملية تثبيت نص التوراة، وهى في حد ذاتها عملية نقدية قام بها عزرا الكاتب في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير الروايات الشفوية وكتابتها بعد محاولات التوفيق بينها بسبب اختلافها الراجع إلى تعدد مصادرها. ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفي العهد القديم وتحديد الكتبة للمقروء والمكتوب. وموقف علماء التلمود من العهد القديم وملية البحث عن مؤلفي العهد القديم، والإشارة إلى تداخل الأقوال في أسفار الأنبياء وإلى التناقضات داخل التوراة وإعطاء أمثلة على هذا لتناقض. وأشار المؤلف إلى ازدهار النقد في الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية. وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم وبخاصة عند مارتن لوثر وتلاميذه. كما اهتم بتوضيح دور سبينوزا الفيلسوف اليهودي في تطوير نقد العهد القديم وإثارته للعديد من المشاكل النقدية مثل مسألة تأليف موسى عليه السلام للتوراة، والنظر إلى أسفار الأنبياء علي أنها أسفار تاريخية ومصدر تاريخي في

المقام الأول، ودور عزرا في تأليف التوراة وأقدمية سفر التثنية وزمن تأليف الأسفار الخمسة وغير ذلك من المشاكل النقدية.

يتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين البهوي والألوهيمي وإضافات أيشهورن، وملاحظات هيردر وتشعبات الجن المصدرية وآراء جديس وفيتر ودى – فته، وتحديد المصادر الأربعة عند عدد من نقاد العهد القديم (وهى اليهوي والألوهيمي والكهنوتي والتثنوي). وقد خصص لمدرسة يوليوس فلهاوزن فصلاً كاملاً موضحًا آراء هذه المدرسة كمدرسة مطورة لعلم نقد العهد القديم، كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن. واهتم بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمي للعهد القديم وتطور نقد يهودي حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ونقد العهد القديم في الأدبيات العبرية.

وعلى الرغم من قدرة المؤلف الجيدة على تغطية نقد العهد القديم بشكل موجز فقد أهمل النقد الإسلامي للتوراة وبقية أسفار العهد القديم إهمالاً تامًا على الرغم من أهمية هذا النقد الإسلامي في نشأة النقد اليهودي للعهد القديم في العصر الوسيط وبخاصة في الأندلس.

وقد قدم جهود العلماء اليهود في العصر الوسيط في نقد العهد القديم على أنها تطور يهودي داخلي. والحقيقة التاريخية تثبت أن نشأة النقد وتطوره في العصر الوسيط إنما حدث بتأثير إسلامي

مباشر عن طريق القرآن الكريم وآرائه النقدية في التوراة اليهودية وتقديمه لنظريات التحريف والتبديل، وتعدد المصادر، ووسائل إحداث التغيير النصي في التوراة. وأيضًا من خلال مصادر علم الكلام عند المسلمين، ومصادر تاريخ الأديان وعلى رأسها ابن حزم الأندلسي ومحمد الشهرستاني أعظم مؤلف المسلمين في مجال الملل والنحل، والأول (ابن حزم) يعتبر بحق مؤسس علم نقد العهد القديم، كما شملت أعمال المسعودي والغزالي على آراء نقدية هامة تستحق الدراسة. وننبه هنا إلى أنه لا يمكن دراسة نقد العهد القديم بمعزل عن التراث النقدي الإسلامي.

وفي النهاية أتوجه بالشكر الجزيل إلى مترجم هذا الكتاب الدكتور أحمد محمود هويدي الأستاذ بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة على مجهوده الكبير الذي بذله في ترجمة الكتاب عن اللغة العبرية الحديثة وفي موضوع صعب هو نقد العهد القديم. وسيستفيد من ترجمته هذه الترجمة المتخصصون في عدد من المجالات من أهمها: تاريخ الديانة اليهودية، وتاريخ العهد القديم، والنقد الأدبي والتاريخ، فإليه الشكر والتقدير.

محمد خليفة حسن

تصدير

تقدم علم نقد العهد القديم تقدمًا كبيرًا في الغرب منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن، وعلى الرغم من أن نقد العهد القديم علم إسلامي جذوره في القرآن الكريم ثم في كتب التفسير وكتب الملل والنحل، لكننا لا نجد كتابًا في اللغة العربية قد اهتم ببيان هذا العلم عند المسلمين أو المستشرقين. وذلك باستثناء بعض الإشارات التي وردت عن مصادر التوراة في ثنايا الكتب التي تناولت الديانة اليهودية خاصة كتاب «الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه» للأستاذ الدكتور حسن ظاظا (يرحمه الله)، وكتاب «اليهودية» للأستاذ الدكتور محمد بحر عبد المجيد. أما أول دراسة وافية باللغة العربية عن نشأة نظرية المصادر وبيان الخصائص التاريخية والدينية لكل مصدر فهى الدراسة القيمة التي قدمها الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن في كتابه «علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية».

لأن المكتبة العربية تفتقر إلى كتاب يتناول تاريخ نقد العهد القديم رأينا من واجبنا ترجمة كتاب يتناول هذا الموضوع لكي يفيد الدارسين في مجال دراسات العهد القديم. ونقدم هنا الجزء الأول وهو يقدم رؤية تأريخية وصفية لتاريخ نقد العهد القديم منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث، وسوف نتبع ذلك – إن شاء الله – بالجزء الثاني.

أود هنا أن أشير إلى أن الهدف من ترجمة هذا الكتاب دعوة الباحثين إلى تأصيل نظريات نقد العهد القديم التي تطورت في الغرب في ضوء التراث الإسلامي، حيث لا يمكن فصل نشأة نقد العهد القديم وتطوره عن نشأة وتطور الدراسات العربية الإسلامية وتطورها في الغرب. مع مرعاة أننا استخدمنا في القسم الأول مصطلح «المقرا» حيث أن النقد في هذا القسم كل في المصادر

اليهودية وفي القسمين الثاني والثالث استخدمنا مصطلح العقد القديم. والمصطلح الأول هو المصطلح الذي يفضله اليهود والمصطلح الثاني هو التسمية المسيحية للمقرا ويرفضها اليهود.

وما كان هذا الكتاب ليرى النور لولا التشجيع الدائم والمستمر من أستاذي العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن، وقد أفدت كثيرًا من ملاحظاته القيمة، التي أفضت على الترجمة وأسلوبها جمالاً وروعة يلحظها القارئ في كل صفحة من صفحات الكتاب، فأتوجه لسيادته بخالص الشكر والتقدير والعرفان، وأشكر دار رؤية للنشر والتوزيع بنشر هذه الترجمة التي أرجو أن تحقق هدفها.

أحمد هويدي

مقدمة

اعتاد مؤلفو المداخل للعهد القديم أن يذكروا في مقدمة كتبهم وبإيجاز شديد وفي خطوط عامة جدا تاريخ نقد العهد القديم. وباستثناء تلك الصفحات المعدودة والمقالات الموسوعية المنفصلة لم يكتب في أي لغة كتاب قائم بذاته عن تاريخ ومنهج تطور هذا الفرع العلمي، الذي تحمس له المفكرون منذ الأزل.

إذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بنقد العهد القديم عند أمم العالم، فمن الأولى ذكر ما يتعلق بمحاولات نقد المقرا بين اليهود. فعلماء الأمم ينظرون إلى الفكر العبري كله بمثابة إرث للماسورا، ولم يذكروا في عروضهم الموجزة للباحثين أي باحث عبري، باستثناء بعض الأسماء من العصر الوسيط الذين كان لهم حظ الانتشار على يد باحث غير يهودي، واعتبر بحث المقرا علما أجنبيا في نظر رؤساء المتحدثين في الدوائر اليهودية لفترة طويلة. وفي نفس الوقت لا يوجد مقال شامل باللغة العبرية عن تاريخ نقد

العهد القديم عند اليهود. وفي نفس الوقت عُرف الميراث الأدبي منذ عصر الجاؤونيم. وتوصل بعض كبار المفسرين إلى القيم العلمية، وأفاد العديد من الأثريين من الكنوز التي كشفت في العالم. وفي الأدب الجديد يمكن كشف بعض المحاولات من جانب الباحثين اليهود لوضع أساس يهودي لهذا العلم. وتجمعت ثروة كبيرة من الأبحاث والأفكار والآراء التي توحدت حول وجهة نظر معروفة، وحول ابتكار محدد واحد لنظرية محددة.

من أجل تحقيق هدفنا وهو أن نقدم للقارئ العبري علوم العهد القديم بكل ثقافتها الأساسية ونوجه فكره تجاهها لا يمكننا أن نكتفي بهذه الدائرة الضيقة التي كونها آخرون لأنفسهم. فقبل أن نسير في طلب البحث العلمي في الخارج رأينا من الواجب علينا أن نغوص وسط الفكر العبري، ونحاول أن نلفت نظر المهتم العبري بقسم بحثنا نحن الذي لم يتوقف منذ تكوينه وحتى الآن.

في هذا العرض ـ كما في الأجزاء التي ستظهر مستقبلا ـ رأينا على قدر استطاعتنا ألا نسعى وراء كثرة التفاصيل سواء في القسم العبري أو في القسم العام، وألا نسمح للقارئ أن يضل الطريق بين اضطراب النظريات والاتجاهات العديدة. وقد كان أساس رغبتنا أن نبرز أساس العمل، أي الطريق الأساسي الذي يرتقي من مرحلة إلى مرحلة. ولم تكن أمامنا أهداف ببليوجرافية، ولذلك لا يبحث المتصفح للكتاب عن هذه الزاوية. ولم يكن غرضنا سوى أن نقدم تطور نظرية النقد، لذلك نشير إلى التفاصيل التي توضح طبقا لوجهة نظرنا حلقات التطور.

كما قلنا، فلم تدخل في المناقشات آراء العلماء حول نظرياتهم أو آراء الذين دخلوا في الصراعات دفاعا عن مادة التوراة. ومن خلال حرب الآراء برزت النظرية العلمية ونقحت وتطورت. وليس لنا هنا إلا أن نعبر عن هذا التطور فقط.

حتى الآن لم يكتب كتاب شامل عن الموضوع، ولكنه بحث في فصول متفرقة من قبل الكثيرين، واهتم بعضهم بالموضوع بشكل كاف. ومن القسم العام نذكر كتب المقدمات لـ: هولتسينجر وكورنيل واشتويرناجل وإشترك واستيفل صاحب كتاب «مصادر التوراة» والمقالات المفصلة لبينتش وجونكل في المجموعة الموسوعية «الدين في التاريخ والعصر الحاضر». ومن القسم العبري نشير بوجه خاص إلى ي.ل.تسونس وأ.هـ.فايس، والبروفيسور أ.أفتوفيسر ود/ أيزنشت ود/ ش.فوزننسكي

والبروفيسور ش.شاختر، والبروفيسور زئيف باخر وأفراهام أفشتاين، والبروفيسور ملتر ود/ روزن، ود/ جوتمان وغيرهم.فكتبهم ومقالاتهم كانت لنا معينا.

هذا الكتاب ثمار عمل مشترك سواء في خطته أو في تفاصيل أقسامه، ويعتبر م.سولوفيتشيك مسئولاً عن مضمون الفصل الخامس، والفصول من السابع حتى الحادي عشر، كما يعتبر ز.روفشوف مسئولاً عن الفصول من الأول وحتى الرابع، والفصل السادس، والفصلين الثاني عشر والثالث عشر. وقد قام روفشوف بتحرير كل فصول الكتاب.

الفصل
الثالث عشر
13
نقد العهد القديم
في الأدبيات العبرية الحديثة

1 - أدب الهسكالا والعهد القديم

بعد أن حدث التغيير الأساسي في الحياة الروحية لليهود في نهاية القرن التاسع عشر، وكذلك في الأدب العبري الذي انبثق من دوائر العصر الوسيط، لم يحدث استعجال لتطوير تصورات مضادة لمواجهة نقد العهد القديم على أساس من الأبحاث والنتائج التي تم التوصل إليها.

ولم تأت الحقيقة العلمية الهامة من خارج حدود اليهود، بل أيضًا من الاتجاهات التي سادت وسط العلماء اليهود في الغرب، ولذلك لم يستمر التنكر لمجالات البحث المكتوبة باللغة العبرية. وتزايد في أدب تلك الفترة الإحساس بالتجاهل والتنكر للنقد العلمي لعلماء الأمم الأجنبية التي عاش بينها العلماء اليهود في الغرب، وتزايد ذلك سبعة أضعاف؛ فقد زاد الصراع ضد هذا الولع بنقد العهد القديم لدى مصلحي الديانة من بين علماء اليهود في الغرب. وقد تجرأ بعض الكتاب من النخبة الخاصة، ونجحوا في أن يحددوا لأنفسهم أسلوبًا خاصًا.

2- بن زئيف

أول من جاء لتأسيس نقد العهد القديم داخل الأدبيات العبرية الحديثة كان هذه المرة أيضا من علماء النحو، ومن الباحثين في علم اللغة، كما كان الوضع في العصر الوسيط. ففي عام (1810) نشر يهودا ليف ابن زئيف كتابه "مقدمة في التوراة المقدسة"، وكان الكتاب معدًا على أساس خطط "المداخل" الألمانية التي كتبت في عصره وقبله، وهي المقدمة الأولى، وكانت حتى فترة متأخرة الفريدة أيضًا في نوعها في الأدب العبري.

كان بن زئيف تلميذًا وفيًا لموشيه مندلسون، وقد تركت مؤلفات أيشهورن تأثيرات عديدة عليه. ومن المعروف أنه أدرك حجم المسافة بين الأدب العبري وبين نقد العهد القديم في أوروبا، وعلى هذا الأساس بدأ عمله بحذر شديد. فبدأ بالتخلص من "فكرة ما تجلبه ضرورة البحث في هذا الموضوع من رأى يناقض رأى التلمود في أقوال الأجادا"، ويأتي بـ : "براهين قوية من كل

عظماء الجاؤونيم، لأن الميل لأقوال الهالاخا كان ممنوعا، وكانت السلطة مخولة لأقوال الأجادا لمعالجة أي رأي يعارض أقوالهم". وأما فيما يتعلق بالكتابات المقدسة ذاتها فيوضح قائلاً : "ها هوذا أمامك الأربعة وعشرون سفرًا المقدسة، وهي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة،ومؤلفين مختلفين حيث تستوعب أسفار التوراة الخمسة ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن. وأيضًا تاريخ بني إسرائيل منذ سبي مصر حتى بداية الهيكل الثاني الذي تصل إليه أسفار الكتابات المقدسة، واستمر أيضا ألف سنة... ألم يكن من المناسب إذن تمييز كل سفر من الأسفار، وإذا قرأت فإنك تميز ".

ويقول عن أسلوبه في النقد: "بحثت أولاً في حقائب معلمينا،حكماء التلمود لأرى ما إذا كانت أقوالهم قد قصدت المفهوم الحرفي للنصوص (البشاط) وبدون تناقضات مع الحقيقة الواضحة، عندئذ تمسكت بأقوالهم،ولم أنحرف عنها. وحقًا إن لم استطع أن أطابق أقوالهم... بسبب الغرائب العديدة ... عندئذ أتوجه إلى علماء الأجيال من عارفي الأزمنة المشهورة في العلم بشواهدهم الحقيقية العديدة ". ثم يواصل ويعترف بما يتعلق بكل سفر من الأسفار " العصر الذي تنسب إليه موضوعات السفر،الذي عاش فيه النبي أو غيره، مما يحتويه مضمون السفر "، "وما موقف جماعة بني إسرائيل " "وإلى أي جنس من الأجناس الأدبية تنتسب موضوعات السفر " "ومن كاتب السفر " وما شابه ذلك.

يعرف الهالاخا قائلاً : لقد تحرر عظماء الجاؤونيم في فهم "أقوال الأجادا برأي يخالف التلمود، غير أنهم لم يتشجعوا في الواقع ليفعلوا ذلك. وعلى سبيل المثال فإنه يحصي في سفر صموئيل تناقضات عديدة في الروايات عن جليات وداود، وفي موضوع تمليك داود، وعلاقات داود ويوناثان، التي لا يستطع أن يشرحها، وينهي مقاله بقوله : "ورأيت لأحد العلماء من علماء النصارى المتعمقين في البحث... يعلن اعتراضه بقوله إن هذه الصعوبات والأمور الغريبة:تعود إلى أن الموضوع من الفقرة الخامسة من الإصحاح (18) لسفر صموئيل الأول ليست نقلاً عن السفر، ومع هذا لم يتجاهل ترتيب الرواية ويواصل الموضوع. ألم تكن هذه أقوال عالم ليس من بني إسرائيل ولم تحفظه القابالا... غير أنه ليس مسموحًا لنا ".

يقول على نحو مماثل عن إشعيا : :" إن كان سفرا واحدًا طبقًا لاسمه، فإنه طبقًا لموضوعه ينقسم انقسامًا ضروريًا إلى قسمين... مختلفين في الزمن والموضوع والأسلوب اختلافًا كبيرًا، والجزء الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الأربعين، والقسم الثاني من الإصحاح الأربعين حتى نهاية السفر". غير أنه لم يتشجع ليضع قاعدة، وينهي كلامه بقوله : أتى العديد من العلماء بالتصور أن تلك النبوءات (من الإصحاح 40 وما بعده) ليست لإشعيا النبي، بل من نبي آخر، متأخر عنه بزمن كبير... والأمر متروك لفطنة الإنسان، فيعتقد به الإنسان كما يتصور عقله :. ألم تكن هذه

أيضًا أقوال الرِبي موشيه مندلسون في التفسير،وما للتلميذ أن يخرج عن مجالاته؟.

لم يخرج من مدرسة مندلسون مؤسسون للعلم باللغة العبرية، كما لم يخرج منها مؤسسون باللغة الألمانية. فتلاميذ مندلسون أحدثوا تطورات ووجهوا الأنظار فحسب. أما بالنسبة لتأسيس العلم فقد تزعمه أبناء الجيل الثاني. وما كان لتسونس، وبعد ذلك لجايجر في العلوم اليهودية باللغة الألمانية، كان لمعاصريهما شلومو يهودا رفوفورت و ى. ش. رجاو، وبعدهما شموئيل دافيد لوتساتو،في العلوم اليهودية باللغة العبرية.

3 – ش.ي.رفوفورت

خصص شلومو يهودا رفوفورت، مثل زملائه من مؤسسي العلوم اليهودية باللغة الألمانية، نظريته للأدب المتأخر. فالتاريخ الذي كتبه،هو تأريخ لشخصيات العصر الوسيط، وتدور أبحاثه حول "المصطلح اللفظي" وحول قيم التلمود والمدراشيم. غير أنه اقترب إلى حد ما بأبحاثه من أقوال التوراة المكتوبة، وكشف عن رأيه : "على أسس النقد والبحث الجيد بربط الفقرات، وتتابع الإصحاحات يمكن تعديل العديد من أقوال العهد القديم الموجودة أمامنا". وعندما وصل إلى قضية تحليل المزمور (111) فيؤخر زمنه حتى "مرسوم أنطيوخوس"، "في الفترة التي بدأ ينتشر فيها روح ومظاهر حكمة اليونان في آسيا الغربية"، لأنه مرت "منذ زمن منح التوراة حتى عصر (مؤلف هذا المزمور).. تقريبًا 1100 سنة وأكثر".

سمح رفوفورت لنفسه في بعض الأحيان أن يعدل فقرة أو يغير حروفا (على سبيل المثال : لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه. يا إلهي نفس منحنية فيّ (المزامير 6:42ب-7أ) فيعدل : يا إلهي نفس منحنية فيّ إلى يا إلهي. نفسي منحنية فيّ"، غير أنه كان متحفظا في بحثه ويقدم عليه في رهبة. وحدد لنفسه من البداية قانونًا سمح لنفسه فيه بـ: " البحث في كتب الديانة، لكن بصورة لا تتخلى عن المسلم به والمنتشر في الأمة ". وعلاوة على ذلك فإنه في نهاية حياته يبدو وكأنه قد ندم على ضآلة تلك الحرية التي سمح بها لبحثه في شبابه.

4- ي.ش.رجاو

كان ى.ش. رجاو معاصرًا لـ: رفوفورت وقريبًا منه في عالم العهد القديم وبحثه. ولم يقصد في الواقع من ترجمته التوراة إلى الإيطالية سوى أن يسير في إثر مندلسون، وأن يقدم ليهود إيطاليا ما قصد الربي موشيه مندلسون تقديمه ليهود ألمانيا من تفسيره وترجمته للتوراة، غير أنه بنفس القدر الذي عالج فيه قضايا العهد القديم، تطور وزاد اتجاهه النقدي. وتركت أبحاث البروفيسور هيتسيج الناقد الألماني للعهد القديم تأثيرا كبيرًا عليه، وإن اعترف في الواقع،بأن بعض أقواله "تذهب أبعد من الحد المحدد لنا"، لكنه يشكر لأنه يعلن عن صحة الناقد وأن "تفيد منشوراته بين إخواننا"، ويسير هو نفسه في إثره،ويعلن أقوال معلمه بشأن المزامير بتعديلاته وإضافاته أمام قراء "بستان السحر"، وحاول أيضًا

الإشارة إلى تحديد زمن تأليف سفـــر أيوب، ومرره سويًا مع هذا السفر تحت صولجان النقد.

كان ي.ش. رجاو أول من أدرك في النقد الأدبي باللغة العبرية من خلال أقوال النصوص المقدسة، أنه باستثناء الأشعار المتضمنة في الأسفار المقدسة لا تزال بعض القصائد الدنيوية موجودة في جماعتنا في زمن الهيكل الأول، والهيكل الثاني.... والتي ذكر العديد منها في أسفار الأنبياء مثل أنشودة الزانية (إشعيا 23:15)، أنشودة الخمر (9:24)، أنشودة الغزل (حزقيال 33:33)، وغير ذلك؛ ولم يتردد في إدخال تعديلات عديدة في نسخ النصوص المقدسة (حتى يوم سبي الأرض = حتى يوم سبي التابوت)القضاة 30:18)، لا تخبروا في جت لا تبكوا بكاءً = لا تخبروا في جت لا تبكوا في عكاء (ميخا 10:1)، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة = قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة (إشعيا 12:17-13) هنا ازدواج والأول يزيد وما شابه ذلك).

5- دافيد شموئيل لوتساتو

أما شموئيل دافيد لوتساتو فكان أول من ركز في بحثه على العهد القديم وفروع البحث المتشعبة عنه، ورغم أنه كان مُعارضا لنقد العهد القديم الأدبي في عصره معارضة مطلقة، فتوجد عنده أقوال وتعبيرات نقدية، ومع كل هذا فقد كان أحد المؤسسين الأساسين والأوفياء في الأدب اليهودي. وكان شموئيل دافيد لوتساتو يؤمن إيمانًا تامًا بتمام التوراة وقداستها المطلقة، وكانت

نفسه الكامنة عقائديًا تبتهج لسماعها، مهما قسموا التوراة لأقسام ومصادر، أو أخروا العصور أو غيروا الترتيب.

مع ذلك فقد كان واحدًا من القلائل الذين تغلغلوا داخل أغوار اللغة العبرية وكشف أسرارها، وقد شعر من خلال فحص مميز بوجود خلل في النص، وبعض التحريفات التي تسللت للنصوص المقدسة. كما كان له أيضًا ميزة خاصة: هي أنه كان يتنبه من خلال جوانب النص المحرف إلى صورته الأولى ويقف عليها. ولأنه سمح بتعديل النصوص المقدسة فقد حورب بقوة، وقد حدّت عقيدته العميقة في قداسة النص من هذه الحرب. وقد أسس شموئيل دافيد لوتساتو تعديلاته بدون خوف من أحد، وبدون أن يهتم بتأييدها، وقد تعمق في أسباب التحريفات، و هكذا شكل مصدرًا لنظرية النقد النصي على أساس من منهجه. هذه الازدواجية بين قوة العقيدة وقوة النقد التي ازدوجت داخل نفس شموئيل دافيد لوتساتو في تناغم واحد، هي التي قللت من قيمته في تطور العلم نفسه، غير أنه وسع أيضًا مجالات تأثيره في عصره، وهيأ لانتصار الأدب العبري أمام النقد.

بدأ شموئيل دافيد لوتساتو تفسيره لأسفار التوراة مزودًا بكل أبعاد البحث في عصره ومتضلعًا بكل بواطن أدب النقد. حتى أنه سمح لنفسه في الفقرة الأولى من تفسيره أن يوضح لقارئيه: أن قصة الخلق لا تفهم كحقيقة علمية، وعلاوة على ذلك فإن التوراة لا تمثل كتابًا تعليميًا في تطور الطبيعة. ويقول "يفهم المثقفون أن القصد في

التوراة ليس نشر العلوم الطبيعية، فالتوراة لم تعط إلا لتقويم البشر بأسلوب العدل والقانون، وتؤسس في قلوبهم عقيدة التوحيد والعناية الإلهية... وموضوع الخلق لم يسرد كلية، ولم يكن متوقعًا أن يسرد في التوراة بأسلوب فلسفي" (التكوين 1:1).

يوضح شموئيل دافيد لوتساتو بحذر شديد المادة التاريخية والأثرية المدمجة في أسفار التوراة، ويطابقها بأقوال المصادر الأخرى الموازية لها، ويستخدم أقوال المؤرخين القدماء الآخرين (يوسف فليفيوس وهسيودوس (التكوين 5:5) هيرودوت (التكوين 18:38)، وغيرها كشواهد لذلك.

في أحيان كثيرة جدًا كان يسير لوتساتو في إثر المحافظين من بين نقاد العهد القديم مثل ميخائليس وهيردر، جرتسيوس وكلريكوس (أنظر : التكوين 8:2، 23:4، 31:36، 40:36، 24:38 وغير ذلك كثير)، ويقتبس تفسيراتهم باسمهم. ويذكر باسم إلجن أن في أقوال الرواية عن "أبناء الله" و"قائمة الأجيال" حفظت بقايا ميثولوجيا قديمة، وفي تفسيره للتكوين (5) يقول " يرى أن يوبال هو Apollo، وتوبال قاين يبدو أنه Vulconus، ونعمى ربما هي Venus واسمها يدل عليها".

على الرغم من أنه كان يعارض كلية نظريات أستروك وإلجن وأيشهورن فقد كان واثقًا أن كل أبحاثهم "ذهبت أدراج الرياح"، ومع كل هذا يرى أن من الواجب أن يخبر القارئ العبري بهم،وعن نتائجهم، وأن يأتي أيضًا بآراء معارضيهم (أنظر التكوين 9:2)، وفي هذا لم يسبقه أحد من بين اليهود.

في رأيه أن معرفة تقسيم المصادر، وحتى تقسيم المصادر في الأنبياء، أو تأخير مزامير في سفر المزامير،قد سُمعت أيضا بين اليهود وسببت ضغينة، وحربًا، ولكن لم تضلل الشخص. ("وأين الوقاحة أعظم من ذلك القول بأن أحدًا من الغشاشين الموجودين في سبي بابل كذب من قلبه نبوؤة إشعيا عن قورش وقال "من أعلم بهذه منذ القديم" (إشعيا 21:45)، فتبدو تلك النبوؤات وكأنها قيلت عدة أجيال قبل ذلك... لكن السخرية أنه ليس أفضل منها سوى سخرية سبينوزا، الذي يجعل من نفسه عبدًا للرب، ومبجله وحبيبه، وقصد كلامه ليس سوى القول بأنه لا يوجد إله في العالم ... وماذا يقال عن سخرية صاحب "الكرم" الذي ينسب لفارس التراتيل الدينية الربي شلومو جبيرول الذي تشبه أفكاره أفكار سبينوزا وتلاميذه؟ ... وكيف أسكت وأكبت نفسي برؤيتي الثغرة مستمرة ومتسعة ... وحاليًا قام شخص من اليهود لينشر أقوال سبينوزا وسط اليهود بلغة القابالا ... ")، وكذلك لم يوقر أيضا شرح ابن عزرا،وكذلك شروح النقاد العبريين في عصره.

بنفس الأسلوب الذي حارب فيه بجرأة ضد منكري صحة التوراة، عارض أيضًا المقدسين للماسورا والموالين للحروف. فقد حفظ عن الربي إلياهو لويتا بأن أشكال القراءة متأخرة، ووضعها أصحاب الماسورا، ولذلك أدرك أنه يجب رؤية النصوص المقدسة كما لو أن ليس بها أدلة القراءة مطلقًا،وأنه من سلطة الباحث، أن يضع أشكال قراءة أخرى، مكان تلك التي انتهجت بواسطة أصحاب الماسورا.

تعمق شموئيل دافيد لوتساتو في عمل أصحاب التشكيل، ووجد أن أسلوبًا محددًا كان لدى أصحاب التشكيل عند وضعهم التشكيل، ولم ينبع هذا الأسلوب من علم اللغة، وأقوال الماسورا المسلم بها لدى الشعب فحسب، بل أيضًا من الآراء الدينية والفلسفية لأصحاب التشكيل. وبعد أن وضع لنفسه هذا الاتجاه النفسي ليزيل الشكوك الدينية، على الصور المادية وما شابه ذلك،فقد وجد مرة ثانية وسائل دعم وفيرة للنقد ووسائل جديدة لتعديل النص.

كما حدث مع ابن جناح الذي لم يترك مجالا في قواعده الواردة في مقدمته لتعديل النصوص والقواعد، فقد حدث ذلك أيضًا لشموئيل دافيد لوتساتو. ومرة ثانية عندما بدأ يفسر أي نص من النصوص المقدسة،لم يكن حريصا على التعليمات التي قصدها أصحاب التشكيل، وأصحاب الماسورا، بل أدخل تعديلات في النصوص من خلال حس نقدي ورؤية تأملية، وقد حازت تلك التعديلات على الرضى (وغضبي في إبادتهم = وغضبي في انحراف يتيم" (إشعيا 25:10)، بقوة ريحه = بعظم ريحه (15:11)، ووجهًا من جهة الشمال = ووجهًا من داخل الشمال (إرميا 13:1)، مبارك مجد يهوه = بعظمة مجد يهوه (حزقيال 12:3)،لأجل ندى صباك = لأجل ندى صبيانك (21:23)، أعدل من سياج الشوك = أعدلهم من سياج الشوك (ميخا 4:7)، وقضاؤك نور خرج = وقضاء كنور خرج (5:6)، وفي الجامعة 21:3، الصعود بدلاً من "هل تصعد"، "وتنزل بدلاً من هل تنزل"، حيث وضع هاء الاستفهام بدلاً من هاء التعريف، وما يشبه ذلك).

عندما توجه إليه الربي شلومو يهودا رفوفورت شيخ العلوم اليهودية باللغة العبرية، وفتح أمامه صدره بسؤاله : أعطيت لهم (علماء شعوب العالم) الحرية للدراسة والبحث طبقًا لآرائهم، غير أننا نحن اليهود، ماذا نفعل بمثل هذه التفاسير أمام الأجنبي؟ أرشدني إن استطعت، والماسورا منتصبة كسور حديدي ضدنا"، فنهض شموئيل دافيد لوتساتو بعظمة مكانته،وأعلن بلغة واضحة وسليمة " فأجيب (وإليهم أساعد) وأقول : إننا اليهود إله الحقيقة إلهنا، الذي لم يأت أمامه كافر، وهو الذي يفحص القلوب والدمار، ولذلك فإن العمل غير الطاهر يمحوه من على لوح قلوبنا، وإن كان طاهرًا، فنذيع عدلاً في جمهور كبير ... وبعد أن اتضح عندنا بمعجزات ليس لها حائل. لأن التشكيل والنبر لم تكن ولم تخلق حتى بعد إقرار التلمود ... فلماذا التراجع إلى الخلف برؤيتنا لعهد القديم مبهم؟ ... والماسورا تلك التي قلت إن وجودها كسور حديدي أمامنا،فما هي ؟ ومن داخل من خرجت ؟ ومتى كتبت؟ ألم يكن معلومًا بلا شك أن أصحاب الماسورا قد قاموا بعد سنوات عديدة من أصحاب التشكيل... " وماذا نفعل بإعلان تفاسير مثل تلك أمام الأجنبي، " من المعروف لبني الاستقامة أن أسفار آبائنا حفظت خلال أجيال عديدة حفظًا مدهشًا قدر الإمكان... لا شيء... والبعد المطلق عن كل تشويه وخلل بسيط بقوة الأجيال التي تبدلت على أسفارنا كانت مستحيلة". تلك الأقوال العلنية والشجاعة الخارجة من قلب خائف على قداسة التوراة، وكاتب الأقوال من زعماء أوائل المتحدثين في هذا الجيل ـ وكم كانت

الدهشة التي سلمت بهذه الأقوال كترخيص علني للنقد وأقحمت عقول العديد من مثقفي العصر.

6- معدلو النص

منذ ذلك الحين صارت الأرض مهيأة بين اليهود لأجل تعديل النص. فقد اعتنى بها علماء العصر الوسيط ورسخها لويتا، وناضل من أجلها عزريا من هآدوميم، و قد تغلغلت صلة البحث للحرف في التوراة إلى داخل أدب الربانين. حتى أننا نقرأ في أسئلة وأجوبة الربي يتسحاقى بن شيشيت عن الأسئلة التي طرحت عليه " عن تلك التي قالها الربى يشمعيل للرابي عقيبا هاأنت تقرأ، فكيف يمكن لعالم كبير مثل الرابي عقيبا أن يحرف في قراءة فقرة،مع أن صبيان مدرسة معلمنا يعرفوه، إن لم يقل : أن كتبهم لم تكن محركة"، فيعلل الربي يتسحاق بن شيشيت " لأن تلك الكلمة كانت منقسمة في كتبهم"، وهذا يعني أن نسخة الأسفار مختلفة (أسئلة وأجوبة الربي يتسحاق بن شيشيت، كتاب مختصر الأقوال).

يقرر الربي شلومو بن أديرت بإسهاب " التغييرات التي نجدها في النصوص المقدسة في الموضوعات التي لا تختلف فيها المعاني لا تمثل قضية، لأن النصوص لا تحفظ الكلمات الصحيحة فحسب، وهذا حدث في مادة التوراة، حدث في الوصايا العشر، والتوراة لم تحرص على حفظ المعنى فقط " (الإشارة 12).

طالما أن شموئيل دافيد لوتساتو لم يستخدم من نقد العهد القديم سوى هذا الأسلوب لتعديل النص، والذي سلكه بحذر

شديد، من خلال حس لغوي جيد ودقيق، لذلك أقرت أقواله وحاول العديد السير في إثره من الربانين والورعين مثل : الرِبي م. دوشك (وشعبك كمن يخاصم كاهنا = وشعب كمن يخاصم كاهنًا، هوشع 4:4)، الرِبي م. شتين (هو شرك للإنسان أن يلغو قائلاً مقدس، وبعد النذر أن يسأل = هو شرك للإنسان أن ينام قائلاً مقدس، وبعد النذر في الصباح (الأمثال 25:20) أموالاً وجثثا = أموالاً و ملابس (أخبار الأيام الثاني 25:20)، ويا جهال تعلموا فهما = ويا جهال أعدوا فهمًا (الأمثال 5:8 وغير ذلك)،دافيد حاييم إشكنازي (ويحسب الفضة = ويصهر الفضة، الملوك الثاني 4:24) ومواضع عديدة مثلها.

7- الرِبي نحمان كروكمل ونظريته في العهد القديم

أما الرِبي نحمان كروكمل، دليل حائري عصره، فهو واحد من ذلك العصر الذي لم يكتف في أبحاثه بألفاظ النصوص المقدسة، وتعديل الحروف، بل توغل داخل أعماق مُؤَلف العهد القديم، وتشجع ليكشف جوهر تلك الثقافة الرائعة، والوقوف على شمولية "الخاصية الروحانية" في الأمة. وهو كتلميذ لهيجل، وكان مؤمنًا ومرتبطًا بصورة أساسية بتطور كل موجود روحاني، وعارفا بفرع من فروع بحث العهد القديم، كما عرفها علماء شعوب العالم، وعلماء اليهود في عصره،فتوجه في ضوء ذلك لكشف مراحل تطور الثقافة العبرية القديمة كما عبر عنها في أدب العهد القديم.

مع كل معلوماته العميقة في البحث الأجنبي، فلم يتوقف أمامها،ولم يرغب في أن يجد لها صدى في اللغة العبرية، إذ كان واحدًا من القليلين الذين عرفوا كيف يسيطروا عليها، ويختاروا منها ما يتفق مع الأسلوب الذي حدده في تاريخ تطور اليهودية، وبسط رؤيته داخل غيوم الماضي، وبدأ مخططه من بداية تكون بني إسرائيل.

هو يسلم كروكمل ببديهية شهادات روايات التوراة، ويفحصها وفق قدرته في ضوء المعرفة ببقية الشعوب السامية، وذلك على أساس المنطق العقلي ووجهة نظره الفلسفية الأوربية. ويزيل بجرأة مشكلة الطبقات المضافة على أقوال النصوص في عصر الأجادا والدراش، ويصل من داخلها إلى المضمون القديم. فيرى أن الجماعة التي جاءت إلى كنعان كانت تعبد في الأماكن المرتفعة باسم يهوه، ولم يتصور أحد أن هذا إثم. حتى إن يربعام بن ناباط في إقامته العجول لم يقصد سوى اسم يهوه، إله إسرائيل، وكان الأجانب، الذين ليسوا من أبناء الكهنة يقربون القرابين بإذن. وعندما تزايد الطموح في عصر الملوك لتنظيم سياسي وحشد الأمة، حدثت لأول مرة الحرب ضد الأماكن المرتفعة، والعبادة خارج مركز أورشليم. ويسمع الجماعة في عصر القضاة تغنى أغان عديدة ومتنوعة،ثم جمعت سويًا في مجموعة "أول مجموعة من الأسفار المقدسة" وعرفت باسم "سفر المستقيم".

كَتَبَ الأنبياء الذين قاموا في عصر الملوك ـ هم أو تلاميذهم ـ

نبوؤاتهم في أسفار، وألفوا أسفار أخبار الأيام لملوك مختلفين، أو اختصروها من أسفار سابقة أكثر إسهابًا، وتلك الاختصارات وصلت إلى يد الشعب ونسخت وانتشرت. وكانت عصور يهوشافاط وحزقيا ويوشياهو عصور معرفة "للتوراة ومعرفة ونسخ الأسفار". وحرقت العديد من الأسفار المقدسة التي كانت موجودة في الهيكل زمن الخراب، والتي بقيت وحفظت في السبي صارت تابعة للترجوم والتفسير. وجمع المهاجرون من بابل ما بقي في أيديهم من بقايا "الأسفار القديمة ونسخوها وصححوها ووضحوها بإسهاب وقيموها بحكمة". وظهر في ذلك العصر أواخر الأنبياء مثل إشعيا الثاني ويوئيل (الذي على أية حال لم يتنبأ قبل عصر عزرا)، وحجي وزكريا الأول وزكريا الثاني (الذي عاش بعد موت الإسكندر المقدوني)، وقد زاد الكتبة آنذاك من ترجمة وتفسير التوراة، وتعليم الجماعة وسردوا أمامها تاريخها. وحتى تم جمع كل أقوال هذه المؤلفات المقدسة في هذه الفترة العظيمة والغنية ورتبوها سويًا مع كل ما سبقها، وطابقوا هذه بتلك وعدلوها حتى تثبيت العهد القديم قبل الخراب بمائة وثمانين عامًا (في عصر حننيا بن جرون، معاصر هليل).

على هذا المنوال بحث في تطور أسفار العهد القديم، وشكل بعد ذلك تاريخ كل سفر، وكان الربي نحمان كروكمل حذرًا لئلا يمس الماسورا، حتى إنه لم يستطع الاعتماد في أقواله على أي برايتا أو قول مأثور لأصحاب التلمود. فلم يناقش مطلقًا تاريخ أسفار

التوراة الخمسة، وتجاهل كل القضايا المرتبطة بها، وكان يضطره الحديث إلى أن يوضح علاقته بها.

لم تحفظ في مقالاته الروائية أقوال مفصلة عن أسفار الأنبياء الكبار السابقين على السبي. غير أنه شرح أدب المهاجرين من بابل وعصر الهيكل الثاني بإسهاب. وهو مثل سبينوزا في عصره، يقتبس أيضًا الرموز الغامضة لابن عزرا واحدًا واحدًا، ولكن هذه المرة ليدعم رأيه بوجود شخصيتين باسم إشعيا. ومن خلال العصور المذكورة في التلمود يعالج كل وحده هناك بشأن تاريخ الأسفار وترتيبها. وعندما بدأ نقد كل سفر على حدة فإنه تمسك بأساليب " أصحاب نظرية التجزئة " المتشددين. فوجد في سفر عزرا خمس قوائم مختلفة،تفصل بينهم مئة وعشرون سنة (من السنة الأولى لقورش،وحتى السنة الثالثة والعشرين لأرتحشستا. أما سفرا أخبار الأيام الذي كان مؤلفه الأول عزرا، وأضافوا عليه بعد ذلك من قوائم نحميا، ومن لفائف النسب، وقوائم الكهنة، سار مؤلفه واستمر ثلاثة أجيال بعد نحميا، أي حتى انتهاء مملكة فارس، ووجد الربي نحمان كروكمل من وجهة نظر التطور البطئ هذه تأليف وتركيب بقية أسفار تلك الفترة. فسفر دانيال " مؤلف من بعض اللفائف (تسع أو عشر) لفيفة لفيفة على حدة، ولا ترتبط الواحدة بالأخرى السابقة عليها أو المتأخرة عنها،سواء في أسلوب اللغة أو في طريقة التأليف". وأمثال سليمان ـ هي " أساطير عامة لمجموعات أمثال " كانت سائدة لدى الجمهور ومثقفي الجماعة، وكانت منظمة في لفائف مختلفة.

من وجهة النظر هذه،يعالج الجامعة ونشيد الأناشيد، ويحلل سفر المزامير في دقة أكثر. فوجد فيه مصدر تسبيح بابلي، يعنى مزامير قيلت بواسطة المهاجرين من بابل، في "تنهدات ممزوجة بالأمل" و "المثقف يعرفها"، ووجد فيها أيضًا تسابيح أشورية ويونانية غناها الأتقياء الغيورون عند خروجهم للحرب في عصر الحشمونيين (مثل 59، 69، 74، 79، 83، 85، 132، 144) ومن خلال المزمور (60) يفهم أنشودة يهودا المكابي في عبر الأردن عند خروجه لإنقاذ بيت صور المحاصر بواسطة اليونان (" الله قد تكلم بقدسه، ابتهج، أقسم شكيم وأنيس وادي سكوت. لي جلعاد ولي منسي... من يقودني إلى المدينة المحصنة. من يهديني إلى أدوم" (9:60)، وغنى نفس هذا المزمور مرة ثانية عندما انتهى الحصار على يد الحشمونيين في عصر شمعون المكابي (المزامير 108).

يرى سفر الجامعة بمثابة السفر الأخير في أسفار الكتابات، والفقرات الأخيرة فيه (كلام الحكماء كالمناسيس وكأوتاد منغرزة... 11:12-14) هي عبارات الإتمام، ليس فقط لسفر الجامعة فحسب بل أيضًا " لأساطير أسفار الكتابات في مجموعها ". ففي بداية قدوم اليونان أنهى رجال الكنيسة الكبرى " وختموا بتلك الفقرات مجموع القسم الثالث من الأسفار المقدسة ". غير أن " الإقرار النهائي والمطلق" لأسفار العهد القديم حدث في عصر محكمة الحشمونيين في عصر شمعون، ويوحنان الكاهن الكبير، نتاى الأربلي، ويهوشع بن فرحيا وبقية حكماء عصرهم، تلاميذ

مغنى الكنيسة الكبرى"، وكما يقال، فقد ختم قبل الخراب بمائة وثمانين عامًا.

بلا شك كان الربي نحمان كروكمل فريدًا في عصره، والأول في الأدب العبري الذي حاول أن يسلك طرقًا جديدة في تاريخ تكوين العهد القديم، وذلك من "سفر المستقيم" الذي كان في عصر القضاة وحتى تثبيت العهد القديم في الفترة الأخيرة للهيكل الثاني، وأن يقرر تلك النظرية للجمهور، وذلك بحذر شديد وإشارات مبعثرة. وقد كان يعرف ما يسيئه. فكتب ذات مرة " قلبي يرتعد في وسطي لأعلن مثل تلك الفرضيات الجديدة، التي هي عكس المنشور حاليًا عند العامة والخاصة. ومنذ ذلك تضاءل الورع الحقيقي، وتزايد الغيورون المتربصون على رأس الطريق، حتى خرج قول من فيه دارس،عكس المألوف عندهم، أو الذي يعظ في جلسته في كنز علمهم التافه، فيقيموا عليه حربًا ". غير أن الربي نحمان كروكمل كان واثقًا أنه لا يمكن أن تختفي تلك الآراء. فيقول "من يعرف الله ويعرف إسرائيل" يدرك أنه ليس هناك خوف خطير أن تتوقف العقيدة، بأبحاث حقيقية وبقلب طاهر كهذا،ويشبهه آلاف، وعلاوة على ذلك، شكرًا وأفضلية لإسرائيل، وعظمة لتوراة آبائهم، وعار للجاهلين عن قصد في عصرنا هذا ".

علاوة على ذلك فقد كان ملتزمًا بإظهار آرائه تلك للأجانب، لكي ينقذ مجد التوراة : لأنه "إذا تنبهنا أيضًا حاليًا لنقرر بأن في المزمور " على أنهار بابل" توقع داود بالروح أورشليم أحداث سبي

8- تلاميذ الربي نحمان كروكمل

غير أن الصراع ضد هذه الآراء قد تسبب في طرح أسئلة مرتبطة بالبحث العلمي للعهد القديم ذاعت بين المثقفين. وقد انتشر بين اليهود تلاميذ الرِبي نحمان كروكمل، وكذلك المعجبون بأقواله وأبحاثه، فكتابه الذي صدر بعد موته لقي أهمية كبيرة، كما نجحت مقدمة تسونس في استقطاب القلوب البعيدة. ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت جماعة كاملة من الباحثين الشبان تقدر النقد، وتحجب آراء المحافظين، وتواصل العمل النقدي الذي حاربت لقيامه.

وجدت الآراء النقدية التي قيلت في الخارج طرقًا لها في مدرسة الرِبي نحمان كروكمل، ولدى دوائر جماعة النقد التي جاءت بعده، وبخاصة في الأدب اليهودي باللغة الألمانية. حيث وجدت أبحاث جايجر عندهم آذانًا صاغية، كما أن كتابه " النسخة الأصلية " قوبل بفرحة، وهو الذي دعم سلطانهم، ووجه من جديد أدب النقد باللغة العبرية إلى أسلوب النقد النصي، وتعديل النصوص المقدسة،وذلك بعد أن وضع جايجر أسسها.

9- أبراهام كروكمل

ينتسب إلى هذه الجماعة الباحث الشاب أبراهام كروكمل، ابن الرِبي نحمان كروكمل، وقد أثار كتابه في صورته المتغيرة وتعديلاته المتشددة عاصفة في الأدب العبري آنذاك. واستخدم بمثابة صورة

أدبية لكتابه هذا الأسطورة التي كانت سائدة بين اليهود بأن العلم الباطني الذي تعلمه بعل شيم طوف من فيه شخص، وجده مختفيا في صخرة، وبعد أن أعلنه لبعل شيم طوف، أخفاه مرة ثانية في الحجر الذي في " مزبورًا" وباستثناء هذا الشخص فقط لم يره أحد آخر من اليهود بعد، ولم يظهره للعديد، لأن الجيل لم يكن مؤهلاً بعد. ونظرية علم الباطن هذه هي النسخة الصحيحة للكتابات المقدسة.

كان باروخ سبينوزا ـ معلم بعل شيم طوف ـ هو نفسه الرجل الذي عرف علم الباطن ولم يظهره للعامة بل أعلنه لشخص. وقد كان هذا الشخص هو أفراهام بن نحمان كراكمال حفيد بعل شيم طوف في "مذبوذ" واستخرج هذه النسخة القديمة "خطاب الرب"، من داخل الصخرة ونشرها على الملأ. فقد جمع في كتابه هذا التعديلات التي نشرت بالعبرية والألمانية واحدًا بعد الآخر،وأضاف عليها من عنده تعديلات عديدة،وطبعها طبقًا لترتيب العهد القديم، المكتوب في ناحية، والمقروء في ناحية، وعددها بالآلاف، هذا بالإضافة إلى ترجمة ألمانية وشرح عبري للتعديلات. ولم يستخدم تراجم كما ينبغي ولم يعرف أيضا الكتابة العبرية القديمة. ودعم تعديلاته باستدلالات منطقية فقط، ولذلك فقد كانت البديهيات في تعديلاته عديدة، وغير ناجحة دائمًا. وتوصل في مقدمته إلى العلاقة بين النقاد الجدد وسبينوزا، والعلاقة بين سبينوزا وابن عزرا وبقية الباحثين العبريين في أسبانيا ـ بعد أن

نبه إلى ذلك بإسهاب كبير قبله الدكتور يوئيل ـ وفي هذا أول إشارة بالعبرية لنقد العهد القديم عند اليهود.

10 - يعقوب ريفمان

لقد تفوق يعقوب ريفمان على معاصره الكبير كروكمل. وقد عاش ريفمان في مدينة زاموشتس مركز الهسكالا في بولندا،، ونشر نظرية "على مسامع الشباب"، وخصص في تحليلاته مكانًا لنقد بحث الأدب العبري، ونقد العهد القديم. وبصفته لغويًا فقد تعمق خصوصًا في الترجمة السريانية، وقارنها بمادة العهد القديم العبرية، وقرر على أساسها منهجا في تفسير النصوص. ولم يكن نقد العهد القديم من وجهة نظره وليد الخارج، بل يرى أن جذوره عميقة في تاريخ الإبداع العبري وقد حاول تدعيم هذا الرأي.

طبقًا لوجهة نظره فإن الرابي اليعازر بر يوسي الجليلي صاحب برايتا الاثنين وثلاثين قاعدة التي تبحث على أساسها التوراة، هو "الأول الذي وهب قلبه لدراسة وبحث أسس توضيح الأسفار المقدسة"، وكل هذه القواعد "خصصت لتوضيح وتفسير العهد القديم وبمنهج التفسير (البشاط) الواضح،الذي توصل إليه علم اللغة". والثاني عنده هو يونا ابن جناح الذي " نمى وأضاف تلك الحبة الصغيرة (قاعدة) " أسلوب الاختصار": للربى إليعازر بر يوسى الجليلي) ونماها يونا حتى أصبحت حزمة عظيمة من القواعد متعددة الأنواع... وها هو ذا يغرسها في كتابه "التراكيب "، ذلك الكتاب المعجز الذي ". "تحدق فيه العين... وتندهش منبهرة

فتعرف وتفهم لماذا كانت عظمة نقد العهد القديم في أسبانيا حتى المائة التاسعة من الألف الخامسة وقد توفر سفر كامل عن تاريخ نقد العهد القديم عند اليهود. ولكـــن بسبب فقـــرة لم ينشر إلا كتابًا صغيرًا فقط، يشمل ثلاثة فصول: "آباء النقد في جماعتنا"، "ومؤسسات النقد" يعنى أساليب النقد وخطط الناقد"، و" دليل منهج نقد الأسفار"، وذلك من وجهة نظر مشابهة للنقد الذي وضعه لسفر صموئيل.

لقد سار في تعديلاته العديدة وراء منهج الجليلي، ومناهج الربي يونا ابن جناح، وكان أول من كشف عن تحريفات في العهد القديم نجمت عن الإيجاز، واستخدام الاختصارات (مثل "أيا كان منكم على الفتى أبشالوم " بدلاً من، "أيا كان منكم مد يده على الفتى أبشالوم " (صموئيل الثاني، 12:18)، أو " أذكر يا رب عار عبيدك. الذي احتمله في حضني من كثرة الأمم" (المزامير 51:89)، قليل من شطر كلمة إهانة، المرادفة لكلمة عار" – إجابة على القضية ص 55، وما يشبه ذلك، وقد اعترف بفضله كل من فرلس ودليتسش) وبتعديلاته الحادة والواضحة تفوق بكثير على دافيد شموئيل لوتساتو، وقد اعترف بهذه التعديلات كل الباحثين من بعده. وقد كان ريفهان أحد القليلين الذين وقفوا على الوزن في شعر العهد القديم، كما تمكن من التمييز بين الأقوال الشعرية، والأقوال النثرية في العهد القديم، واستخرج من سفر الأمثال تسعا وعشرين إصحاحًا شعريًا.

لقد كان حذرًا جدًا في أقواله، ومعتدلاً في بحثه، كما كان حافظًا للوصايا في حياته "وتتلمذ على مناهج علماء التوراة والقانون"، "وفزع لأقوال العلماء في عصرنا، وأيضًا لأقوال العلماء الكبار في العصور القديمة "، ومع كل هذا بدت أقواله الموزونة والمعتدلة مثل ثغرة في جدار، فاضطُهد وعذب، وتصدق أقوال شهادته "تعرض لي المحافظون مرة أو مرتين واتهموني بالكذب، وجرحوني وحطوا مـــن قدري واعتبرونـــي مدعيًا ومشاكسًا ومتمردا".

11 - ش.ل.هيرش

ينتمي لنفس الجماعة أيضًا الناقد العبري الأصل ش. ل.هيرش من نفس مدينة الربي نحمان كروكمل، والذي واصل أسلوبه إلى درجة كبيرة. وقد رأى هيرش أن مهمة النقد لا تكمن في تعديلات النصوص المقدسة فقط، بل تصور مثل معلمه الأكبر، وجود منهج في تاريخ بناء أسفار العهد القديم. ولكنه كان حذرا جدا أكثر من جميع الباحثين المعاصرين له.

علاوة على أبحاثه باللغة الألمانية، فقد ألف عن نقد العهد القديم باللغة العبرية كتابه " تاريخ بني إسرائيل وعقيدتهم ". ولكي يزيل سخط " حُراس السور " قدم مقدمة لكتابه حذر فيها القارئين ألا " يعطوا أهمية في فكرهم لأقوال الهرطقة المشروحة والكامنة هنا في الكتاب "، وأن الأقوال التي تأتي في الكتاب ليست كلها من عنده،بل أن بعضها " أقوال من تفسيرات المهرطقين "، ولم

يأت بها إلا من أجل معرفة " كيف نرد على الهراطقة، ونبرهن للمبتدعين أن عملهم لا أساس له"، ومن أجل ذلك فقط يذكر باسم الهراطقة أقوالاً من هرطقتهم التي ليس لها أهمية.

استمر بهذا الأسلوب يوضح بجلاء،وببراهين عديدة مأخوذة من داخل التاريخ و تاريخ الثقافة، ومن أقوال المصادر ذاتها بأن "القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء" وأن "موسى لم يكتب التوراة كلها"، وأن أقوال التوراة ليست سوى "لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام عشائر وأسباط مختلفة، وتحدثت عن الآباء والأجداد أو كتبت هذا بعد ذلك ". ويكشف في محاضرة له بأن " أقوالا عديدة من تفسيرات الهراطقة والمبتدعين لم يقدرها الجميع، لأن لها إشارات في الأساطير القديمة، وأن العديد منها مشار إليه أو مرموز له في أقوال حكمائنا طيب ثراهم ... لأن قدماءنا كانوا مفعمين بالرغبة في معرفة نشأة أسفار العهد القديم في عصرهم". ويحاول "باسم الناقد" أن يقدم أسلوبا عن تأليف العهد القديم، ويحصي فيه ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهي :

أ ـ لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء،تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم.

ب ـ لفائف من تعاليم الكهنة، تمت الإضافة إليها حتى عصر يهوشع بن صادوق.

جـ ـ لفائف أعداد الأسباط.

د ـ لفائف باعترافات الأنبياء.

هـ ـ مجموعات من روايات بيت داود.

و ـ أقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل.

ز ـ أقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي.

ح ـ تكملات مختارة من عصر الحشمونيين.

عن توراة الكهنة وسفر العدد ـ يقول باسم المهرطق، كما هو مفهوم ـ" كما هما لدينا حاليا فإنها متأخران جدا، ولا يمكن تقديم زمنهما عن بداية الهيكل الثاني ".

مع هذا، فإنه يضيف في نهاية كتابه وفي شكل إجابة ما يلي: "ضد المراطقة يسكر فمي منبع الوشاية". ثم يؤكد كلامه باعترافه: أن كل أبحاثه لا تمس الوصايا العملية لأنه ليس لنا قيمة أمام هذه الشريعة ".

من خلال هذه المقدمة والخاتمة أصبح بحث هيرش الذي قدمه باسم المهرطق الأول في اللغة العبرية الذي يتناول ليس فقط بناء أسفار العهد القديم المتأخرة، بل أيضًا مادة مصادر أسفار التوراة الخمسة، التي لم يقترب منها الربي نحمان كروكمل نفسه.

12 - الطليعة ومحررها ي.ش.شور

غير أن الاحتياطات العديدة التي نهجها هيرش كان قد انتهى عصرها بالفعل في زمنه. فزملاؤه ومعاصروه لم يكونوا بحاجة لقناع،أما فيما يتعلق بالمضمون فقد كانوا أكثر حرصا منه.

لقد أعرب أولئك الذين التفوا حول "الطليعة" عن رأيهم بكبرياء، وفتحوا بابا لمعرفة النقد المدون باللغة الألمانية لجمهور القارئين باللغة العبرية. وباستثناء كروكمل الابن، فقد اشترك أحيانا في "الطليعة" أ. جايجر نفسه،وكان زعيم المتحدثين فيها رئيس التحرير ي.هـ.شور حسيد " اليهود الغربيين " في عصره،كما كان لديه نزعة استقامة كمصلحي الدين في ألمانيا،الذي وجد نقد العهد القديم له وطنا في وسطهم.

كما أن الشاعر ميخا يوسف ليفنزون الذي أقام فترة ما في برلين أفاد من علماء العصر - سينثور زكش،و ي.ل.تسونس - وتأثر بالبحث الحر، وفي ملاحظاته الشعرية عن "سليمان والجامعة " أوضح أن "من له عينان يرى أن هذا السفر يعود لأبناء العصور المتأخرة، سواء في لغته أو في موضوعه،وربما ألف في عصر الحشمونيين ".

13 - خلافات المحافظين حول الأدب

بدأ شور فصله بدراسة لتبرئة كبار الباحثين - شموئيل دافيد لوتساتو، والربي نحمان كروكمل ويوسف شلومو روفيه - الذين خرجوا على الطريق التقليدي، وبدأوا فحص العهد القديم بأسلوب النقد وتعديل الأخطاء التي ظهرت فيه، وفي رؤيته أن هذا "لم يسقط حاشا لله سور العقيدة"، "كما لم يسقط بسبب تعديلات الكتبة وتغييرات الشيوخ،ومن الاختلافات التي بين الوصايا الأولى والأخيرة وغيرها"، لأن "الروح، روح الله السائدة في الكتابات المقدسة هي غذاء الجماعة وهي القائمة معجزة للشعوب"، وليس

الحروف والكلمات. والدليل على ذلك الاختلافات العديدة بين أسلوب الماسورا وأسلوب النصوص الواردة في التلمود والمدراشيم. وتتبع ي.هـ.شور تغييرات الصيغ، وأحصى ثلاثين موضعا في التوراة، بعد أن قام شموئيل دافيد لوتساتو وكذلك ريفمان بتعديل أسفار الأنبياء والمكتوبات فقط،ولم يقتربا من التوراة. وقرر شموئيل دافيد لوتساتو بأنه لم تطرأ أخطاء في الأسفار الخمسة، وأنها حفظت كلية حفظا تاما منذ عصر كتابتها حتى عصر طباعتها. ويفهم من ذلك أن أدلة هـ.شور لا تزال تزيد نار الانقسام. ولكي يبرهن ي.هـ.شور على صدقه اضطر إلى أن يتعمق أكثر في أدب النقد ويلتمس مساعدة علماء الأمم. فترك تفسير بوهلن لسفر التكوين عليه أثرا كبيرا، وكذلك اختلافات الصيغ عند كينكوت، وكتب روهده وفاتكه. ولكونه رجل حرب جسور، رفع إشارة الحرب للدفاع عن أفضلية نظرية المصادر، أو ـ كما دعا بلغته ـ من أجل"الصيغ المختلفة التي كانت أمام محرر أسفار التوراة". وبضجة كبرى، وصيحة حرب باغت القارئ العبري بتوضيح الغموض والازدواج في أحداث الخلق والطوفان، والروايات عن لوط، والازدواج حول شراء المغارة ودفن إبراهيم وقدوم رفقة، ولقاء إسحاق وبركته، وتأكيد الاسم يوسف، وتغيير الاسم يعقوب إلى إسرائيل، وبيع يوسف والخروج من مصر وأكل المن، وأظهر بوضوح أنها لا تكون مصدرا واحدا لأقوال التوراة، بل "كانت صيغًا مختلفة أمام محرر التوراة التي أدخلها سويًا في جمعه".

أضاف في كل مقال جديد له عن نقد العهد القديم سخطا

شديدا، غير أنه هو نفسه لم يقدم أي منهج عن تاريخ بناء أسفار العهد القديم، بل طرح داخل العالم العبري الصعوبات الكثيرة والغموض المفاجئ، وبعض التعديلات والتجديدات، كما استوعبها من الخارج، منها ما هو مناسب جدًا وذو قيمة ، وعلى الرغم من ذلك كانت متفرقة ومهلهلة وغير مرتبطة برؤية واحدة، وتسبب هذا أكثر فيما يتعلق بصور تفنيد العقيدة. وفي نفس الوقت توجه معاصريه تجاه ناحية أخرى ، أما الدائرة التي تركزت فترة حول راية "الطليعة"، راية الإصلاحيين والحرب ضد القديم، زالت وتضاءلت وتوقف تأثيرها.

14 - رد فعل الحركة القومية

تبدلت في عصر شور نزعة المحافظة على القديم في الأدب العبري الحديث. فبظهور الحركة القومية التي انتقل إليها السلطان الروحي في السبعينيات، انتقلت البؤرة الأساسية للحرب ضد الجبهات الداخلية تجاه المجددين في الخارج. فالعلماء اليهود في الغرب الذين حملوا مشعل النور في نظر المثقفين الأوائل، صاروا من الرافضين للاتجاه القومي ومحتقرين في نظر المثقفين الجدد. فالمكانة التي أعطيت للاندماج في الغرب والذي ساد في دوائر "بستان الجهال" و" الطليعة"، فُهم في دوائر " الفجر" على أنه عار، وهذه الكراهية المفتعلة كانت موجهة في المقام الأول ضد نقد العهد القديم، والذي كان في الغرب يمثل إرث المجددين في الدين، الكارهين لأبناء جيل " الفجر".

قبل أن تسود الرومانتيكية القومية لنفس الجيل توجهت إلى إحياء البحث في الأدب الرمزي للجماعة وفتح مجالات جديدة لفهمه، غير أن محفل الحب والإعجاب أشاد بها وتأخر عنها. وقد قام علماء العصر بمهمة كبيرة بغيرتهم على العهد القديم لئلا يؤثر على الأدبيات العبرية أي انتصار للعمل العلمي المتزايد، ولكي لا يتأثر بالنتائج التي حدثت في الخارج حتى لا يسقط مجد سفر الأسفار،كنز أدب الجماعة. ففي الخمسينيات واجهت الأدبيات العبرية كتاب " النص الأصلي " لأبراهام جايجر بأمل حذر وصيحة احترام، وفي السبعينيات صدرت كل كتابات تسونس بمناسبة الاحتفال بيوبيله، وفيها أيضا أبحاثه النقدية، ولم يجدا آذانا صاغية داخل الأدبيات العبرية في ذلك العصر. وبلا شك لم يسمع آنذاك شخص بالعبرية عن ظهور فلهاوزن وانتصارات مدرسته. فقد اعتبروا مفسدين لبستان اليهودية، ومن من بين اليهود يستمع لهم؟.

15 -بيرتس سمولنسكين

عندما وُضع تفسير جريتس لـنشيد الأناشيد أمام بيرتس سمولينسكين، ففي ملاحظاته على الكتاب النقدي لـجريتس عن المزامير عبر باشمئزاز عن هذا الاتجاه لفكرة نقد العهد القديم بقوله:" **لم اشمئز فقط من قراءة هذا الكتاب، بل أيضا من الكتابة عنه. والتعبير الأكثر صدقا عن مثل هذه الكتب هو تجاهلها** ". وعلل أقواله المعبرة عن علاقة الموالين لراية نقد العهد القديم، بقوله: "**بعد أن يُداس مجد اليهود بأقدام الشريرين من كل اتجاه، وأيضًا بعد انتقادات عصرنا وكل إرثنا تمتد يد الشر لالتقاط رماد**

مجدهم. وفي هذا الوقت ... أيضًا يظهر رجل من اليهود... لم يجد قولا حسنا، ليشقى نفسه به، إلا الوقوف مثل حطاب يحمل فأسا لإسقاط فرع تلو الآخر، وغصن تلو غصن في حديقة اليهود وتعريضها للسخرية والازدراء.. ليسلب منا أيضا نفائسنا القديمة، وفي الوقت الذي نشرب فيه كأس المحرمات، تصبح ذكريات العصور القديمة بمثابة شراب أو دواء للعديد من البائسين". وأعرب تيار جماهيري كامل بمثل هذه الكلمات عن علاقته بنقد العهد القديم.

16 - دافيد كهانا

وبالفعل، بدأت في الأدبيات العبرية آنذاك فترة الندم على أخطاء شباب سنوات النقد. و "في عصر رابي شلومو لوريا رافوفورت ومؤيديه دعا بيرتس سمولنسكين إلى حرمة الأخذ بمنهج تأخر معظم الكتابات المقدسة، ومن بعده وحتى الآن تشجع العديد للعمل مثله ..."، لأجل القضاء على هذا "المرض" حيث برز من " الفجر " زئيف يعقوب عمدين بن تسيفي، ودافيد كهانا وغيرهما لإعادة التاج إلى مكانه القديم. وكتب دافيد كهانا كتبا كثيرة ليبرهن أن الملك سليمان هو الذي كتب نشيد الأناشيد والجامعة والأمثال. وتشجع ليبرهن في " ماسورة قيد التوراة " أن نص الماسورا الذي أمامنا لا يوجد به أي خطأ. ولايزال يعارض في العديد من المقالات المجموعة والفصليات أي تعديل النصوص المقدسة وفي تفسير الألفاظ. ولم ينزلق بعد أي شخص إلى النقد العلمي الخاص بتكون أدب العهد القديم. وامتنعت الأدبيات العبرية عن الاستجابة لعلم العهد القديم

17 - ش.ف.رفينوفيتس

عندما أقدم ش.ف.رفينوفيتس على ترجمة كتاب جريتس "تاريخ إسرائيل " إلى اللغة العبرية لم يجرأ على إدخال أقوال جريتس عن تاريخ العهد القديم في الأدبيات العبرية بسبب خوفه من النقد، فحذف كلية الفصول الخاصة بتاريخ العهد القديم مع كل الملاحظات والإشارات المنتمية إلى ذلك،وعلل ذلك بقوله: إن أقوال المؤلف بشأن " نشأة الكتابات المقدسة وتأليفها ... وأساسها في نقد العهد القديم"، و" أسلوبها بعيد عن فكر المترجم، وأنه لا يرى "في تلك الدروس أي فائدة للغالبية العظمى من القارئين " باللغة العبرية.

18 - البراعم الجديدة

لم تتغير العلاقة حتى قبل أن تتعمق الحركة القومية بين اليهود وتنتهي حرب الدفاع التي نشبت عشرات السنين في الداخل والخارج،ويتم الانتقال إلى لعصر الإيجابي، عصر الاستنارة في الإبداع . حيث احتل "البعث" مكان "الفجر"، وكان الدليل القائد لهذه المهمة الجديدة في الأدب العبري والبرهان الأول الذي اخترق الجدار وشجب التجاهل الذي أبداه الكتاب اليهود تجاه علم العهد القديم. فقد أشار آحاد هعام بمرارة إلى حقيقة أن "تفسير مندلسون وتلاميذه لا يزال عندنا حتى الآن، بمثابة 'الكلمة الأخيرة' في معرفة العهد القديم "، في الوقت الذي لا يتوقف "الأوربيون" فيه عن بحث وتفسير كتبنا المقدسة، وأشار في الواقع إلى تفسير نوفك ودعا الكتاب اليهود أن يعملوا بالعبرية ما يشبهه، وعندما بدأ بعد ذلك أفراهام كهانا في إصدار العهد القديم مع تفسير علمي " مؤسس

على أساس من بحث العهد القديم في عصره، وعلى أساس نظرية تقسيم المصادر، احتشد حول عمله جماعة من المفسرين الماهرين ففسر أبراهام كهانا نفسه أسفار التكوين والخروج والعدد ويونا ؛ ش.كرويس سفر إشعيا وتسفي جريتس حيوت، سفري : المزامير وعاموس، وموشيه تسفي سيجل سفر صموئيل، ومئير لامبرت سفر دانيال، وي.ي بن تسيون فينكاف أسفار : هوشع ويوئيل وعويديا. وكان آحاد هعام واحدا من القلائل الذين باركوا هذا العمل. أما ميخا يوسف برديتسفسكي الذي دمر الشك وطرح التساؤل "لمن أنا أشقى" فقد رأى في كل هذا العمل ـ "تأسيس نقد الكتابات المقدسة بالعبرية" ـ جرأة متزايدة.

مع ذلك فإن آحاد هعام نفسه لم يشتغل بنقد العهد القديم، وفي مقال وحيد له كتبه عن موضوع متعلق بالعهد القديم ـ موسى ـ تحرر فيه كلية ووضع وثيقة للفحص العلمي للواقع الفعلي لعصر العهد القديم. وفي رأيه أن أقوال العهد القديم ليست سوى " صورة خيالية، ابتدعتها الجماعة طبقا لحاجتها وميلها الروحي "، والأكيد أن " هذه الصورة الخيالية 'موسى النموذجي ' هو الذي أثر على الجماعة آلاف السنين، وهو البطل الحقيقي الذي يجب بحثه ومعرفته، لكي نقف على أساسه على جوهر الجماعة. وحقا حافظ على احترام روايات العهد القديم، ولكنه أفرغها من مضمونها الواقعي لتظهر الحقيقة التاريخية ـ أو حسب تعبير آحاد هعام الحقيقة "المادية" ـ للبحث في إصلاحها بقوة .

من فوق المنابر الأدبية لآحاد هعام بدأ يتردد أيضا صدى أدب النقد الخارجي، وكتبت أيضا بعض الأبحاث المرتبطة بالمصادر.

وظهرت في " البعث " مقالات الدكتور شمعون برينفلد الأولى عن أسفار العهد القديم وتواصلت هذه المقالات وانتشرت ثم جمعت سويا في مدخل شامل. ونشر أيضا مئير إيش شالوم أبحاثه في " البعث ". وفي كتيب أولي لـ: " كنز اليهودية " التي أسسها آحاد هعام قدم دافيد نيمرك خلاصة بحثه عن " الأصول " وقد تطور بحثه بعد ذلك إلى كتاب قائم بذاته على أسس النقد التاريخي، وجاء فيه لأول مرة باللغة العبرية قسم مفصل عن التوراة وعلى أساس من المصادر. ونهض بعدهما آخرون لتأسيس أصول النقد في فروع مختلفة لنقد العهد القديم باللغة العبرية.

بعد انتقال تحرير "البعث" إلى يوسف كلوزنر،الذي اهتم أيضا بنقد العهد القديم وتاريخ بني إسرائيل في عصر العهد القديم، استمرت في الظهور الأبحاث عن تاريخ أدب العهد القديم ونشأت منابر جديدة لبحث اليهودية باللغة العبرية مثل "الشرق" التي كان أحد محرريها أفراهام زرزوفسكي، مما يظهر عمق البحث في لغة العهد القديم، ومن هذه المنابر "المستقبل"، "والبيدر" "العصر" "المقدس" وغيرها، وهكذا احتل البحث العلمي في فروع مختلفة لعلم العهد القديم مكانًا ثابتًا.

لقد اجتاز المحراث، وحرث الحقل المهجور، وظهرت الإبداعات الجديدة لبداية هذا القرن أبناء الشيخوخة لنقد العهد القديم من الإسرائيليين الذين عصرهم مثل عصر العهد القديم نفسه. ومن خلال التردد الشديد وبخطى دقيقة وبتأخر الزمن استمرت العقيدة العبرية العلمية وهبطت إلى إرثها القديم. ومن يعرف؟ ربما صفحات من كتاب، بقيت مجهولة حتى الآن، وتكشف مستقبلا، ويأتي زمن ويقرع صاحب القلعة نفسه.

الفهرس

الصفحة	الموضـــــوع

القسم الأول
نقد الموروث

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

القسم الثاني

النقد العلمي

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

القسم الثالث

النقد عند اليهود في القرن التاسع عشر

الموضـــــوع | الصفحة

نقد العهد القديم

تحرير. زالمان شازار
ترجمة د. أحمد محمود هويدي

رؤية
الغلاف حسين جميل

"يُقدِّم هذا الكتاب عرضاً موجزاً لتاريخ نقد العهد القديم ؛ حيث يبدأ بوصف عملية تثبيت نص التوراة ، وهي عملية نقدية قام بها (عزرا الكاتب) في القرن الخامس قبل الميلاد ؛ حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفوية . كما يشير إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم ، وعملية البحث عن مؤلفي العهد القديم، وموقف علماء التلمود من العهد القديم . وقد أشار المؤلف إلى ازدهار النقد فى الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية. وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم، وبخاصة عند مارتن لوثر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح دور الفيلسوف اليهودي سبينوزا في تطوير نقد العهد القديم وإثارته للعديد من المشاكل النقدية . وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين إليهوي و الإلوهيمي، وإضافات أيشهورن، وملاحظات هيردر، وتشعبات إلجن المصدرية ، وآراء جديس وفيتر ودى - فته ، وتحديد المصادر الأربعة للتوراة. وقد ناقش آراء مدرسة يوليوس فلهاوزن فى تطوير علم نقد العهد القديم، كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن. وقد اهتم الكتاب بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمى للعهد القديم وتصور نقد يهودى حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية، ونقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية وأهميته أيضاً فى نشأة نقد العهد القديم فى العصر الحديث ."

9 789774 991332